السرد النفسي في رواية بحر أزرق .. قمر أبيض

Psychological Narrative in the Novel Blue Sea.. White Moon

د. جمان فيصل خليل
مدرس
جامعة الموصل– كلية التربية للعلوم الإنسانية– قسم اللغة العربية

Dr. Juman Fisal Khalil
lecturer
University of Mosul
College of Education for Human Sciences - Department of Arabic Language

Juman72@uomosul.edu.iq

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠٢٢/٨/٧	٢٠٢٢/٩/٢٨

الكلمات المفتاحية: الشخصية، المنولوج، الرحلة، الوصف، الاسترجاع

Keyword: Character, monologue, journey, description, retrieval

الملخص

رواية (بحر أزرق .. قمر أبيض) من الروايات التي وصفت بأنها من أدب الرحلات، لكنها في الحقيقة رحلة موظف على متن سفينة عاشها بكل شغف وانبهار بوصفه رجلًا شرقيًا عراقيًا يعاني الحرمان والعذاب في وطن مضطرب تزوره الحروب بين الحين والحين .

جسد بطل الرواية (سي) بوصفه رمزًا لغوياً مزاج السارد الذي مزج السرد بأدب الرحلات ، ودفع بشخصيات متعددة التقى بهم في رحلته تلك، كان سرداً مفتوحاً على فضاءات متعددة نفسية وانسانية وجغرافية واجتماعية، وكان السرد النفسي، بوصفه مدار بحثنا، الصورة الغالبة على جسد الرواية بمقاطعها المتعددة وتنقلاتها النفسية بين ذات الكاتب والعالم الجديد الذي يرتع فيه بين دولة وأخرى، بين معشوقة وأخرى، بين جدران مدن أحس فيها بالضيق والأسى لأنها تذكره دوماً وعلى مدار الرواية بعالم الطفولة الأليمة والوطن التعيس وبشره المتعبين وقد جسد ذلك في منولوجات متعددة وأوصاف نفسية عالجناها في بحثنا هذا قدر الامكان.

Abstract

The novel (A Blue Sea, a White Moon) is one of the novels that has been described as a travel literature, but it is in fact the journey of an employee on a ship that he lived with passion and fascination as an eastern Iraqi man suffering from deprivation and torment in a troubled homeland visited by wars from time to time.

The protagonist of the novel (C) as a linguistic symbol embodied the mood of the narrator who mixed the narration with travel literature, and pushed the multiple characters he encountered on his journey. And her psychological movements between the same writer and the new world in which he thrives between one country and another, between one lover and another, between the walls of cities in which he felt distress and grief because she always reminded him, throughout the novel, of the world of painful childhood, the miserable homeland and its tired skin. As much as possible.

توطئة

ليس من دواعي الغرابة أن يكون للأدب علاقة بعلم النفس وعلم الاجتماع، إن الابداع في حقيقته فعل ذاتي ينتج عن تقلبات النفس الانسانية في نظرتها الى هذا الكون الواسع المبهر والتعامل مع موجودات الكون ايضاً، وهو عملية أخذ وعطاء ومحاكاة للطبيعة العامة للخلق الانساني والخلق الجامد، والمحركات الثقافية عموماً تنطلق من هذا الكم المعقد من الأحاسيس والمشاعر ذات الهموم الاجتماعية التي تعكسها الحالة الشعورية الابداعية لتنتج النص شعراً كان أم رواية أم فعلاً تشكيلياً يصور الحالة المعرفية لجوهر الانسان وعلاقته بذاته والكون من حوله .

يتبنى علم النفس هذا السلوك البشري بصراعاته المستمرة مع العالم ، ولاسيما ان الحياة فكرة معقدة للغاية وتحتاج إلى كثيرٍ من الاسئلة والاجوبة الكونية التي تنتج عنها ازالة المظاهر الغريبة منها، بل هي محاولة إيجاد التوازن في محيطها وجوهرها .

وكان لأثر تلك العلوم (النفسية والاجتماعية) حضورٌ في الرواية العربية والعراقية ، واشتغال مدارس التحليل النفسي وكتابتها ولاسيما (فرويد) كونها تبرز الأزمة النفسية والرؤى والتطلعات التي تعتلج في بواطن شعور الشخصية ومدى استقرارها في وعيها الذهني ((تكويناً يتضمن الافكار والدوافع والانفعالات، والميول والاتجاهات والقدرات والظواهر المتشابهة وكل الموضوعات التي لها علاقة بطبيعة الشخصية أصلها وتطورها وتغييرها)) [١] .

فالنص الروائي في القرن التاسع عشر والعشرين يركز على الشخصية ، وما وقع في اعماقها من أزمة وتخلخل فإن ((اعظم شخصيات هذا القرن تظل اشكالية)) [٢]، وخير من مثل الصراعات النفسية في الرواية العربية ((ديستوفسكي الذي كانت اعماله تقريباً تمتلك طابعاً نفسياً وتجسد عذابات نفسية يتعرض لها الابطال في سباقات مختلفة ومع مشكلات متعددة فهو يصف البعد السايكولوجي لنفسية القاتل في روايته الجريمة والعقاب)) [٣] .

إذن العلاقة بين الادب والداخل الانساني علاقة وثيقة وقديمة قدم الادب، إذ ينظر فرويد الى الشخصية الروائية على انها تحمل كل التناقضات، فهي تحمل في تصوره الفنان المبدع

---

(١) الشخصية، س لازوري ريتشارد / ت : سيد محمد غنيم ومحمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط٤، ١٩٩٣: ٢٦ .

(٢) الانسان من هو ؟ قاسم حسين صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦ : ٦٧ .

(٣) الابعاد الاساسية للشخصية، احمد محمد عبد الخالق، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٨٧: ٣٩ .

الجديد بالخلود، وتحمل في الوقت نفسه الاخلاقي والعصابي ، الآثم المجرم المتعاطف مع المجرمين، والمهووس بالمغامرة المولع بتعذيب نفسه ،وتعذيب الآخرين وهذا كله مجسد في الرواية ،ويرى انها تعد الصورة الحقيقية لحياة هذا الروائي الشخصية وانفعالاته اللاشعورية [١].

ولذلك تعد الشخصية عند علماء النفس مجموعة الصفات الجسدية والعقلية، بكل ما تحتويه من قيم اجتماعية وفطرية مكتسبة، تميز هذا الشخص عن غيره ، فكانت الرواية العربية حالها حال الروايات العالمية بكل تنوعاتها الثقافية وارهاصاتها التشكيلية في النص الروائي والنصوص السردية كافة ، ونرى ان دراسة البعد النفسي للسرد يساعد على بيان ملامح الشخصية في العمل الروائي .

يعد الروائي العراقي (حسن البحار) أحد الكتاب العراقيين ، يكتب في لون مميز يعرف بـ(أدب الرحلات) إذ تفيض اعماله بتجارب حياتية معاشه لكونه ((قضى سنوات عدة من حياته يعمل بحاراً وله خبرة بما يكتب عنه وصدر له (الدردبيس)، مجموعة قصصية و(مرام) رواية ، و(بحر أزرق .. قمر أبيض) وهي رواية حصدت جائزة أدب الرحلات ٢٠١٣)) [٢] .

(١) ينظر : المدخل الى نظرية النقد النفسي، زين الدين المختاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨: ١٢.

(٢) روائي حاذق يقود القارئ الى نهاية الرواية، اسعد اللامي، موقع من الانترنت

Kita bata.com

تعريف السرد النفسي :

بناءً على ما سبق فإن اسلوب السرد النفسي –موضوع دراستنا– هو من أهم المصطلحات السردية التي عنيت بالعرض والاخبار عن كل ما هو نفسي من خلال التركيز على الشخصيات ذات الابعاد السايكولوجية المركزة ، لما تنطوي عليه تلك الحالة من مشاعر وأفكار وصراعات نفسية لها مرجعيات كثيرة من الرغبات والأزمات الانسانية الواقعية الحديثة، والعابرة وحالات أخرى تتوزع بين الشعور واللاشعور المضطربين .

إن البواعث النفسية وخفايا العالم الداخلي في نصوص رواية(بحر أزرق .. قمر أبيض) تتضمن سرود نفسية داخلية تصاغ بأساليب لغوية لفظية نابعة من لغة الكاتب (حسن البحار) بعفوية تامة، إذ يحيلنا العنوان الشعري هذا الى ان الكاتب (الروائي) حصر الذات والشخصية الروائية بكل طاقاتها الابداعية داخل هذا الحيز النقي (السماء والارض) هذان الحيزان الاكثر نقاوة يتحملان رغبات البث النفسي الهم المتراكم في داخل عالم المبدع ،إذ الكون بسمائه ومائه الاكثر نقاوة، بل هو الفضاء التام المنغلق على أحاسيس ومشاعر كونية نقية تبحث عن حلول نفسية وأجوبة عن اسئلة وجودية مضطربة .

السرد النفسي بوصفه ((ثيمة روائية يتابع ذلك الاضطراب والقلق الوجودي للشخصية ولاسيما داخل حيز الزمان والمكان وفق رؤى نفسية تعود على الشخصية ذاتها))[١] ،متابعة للحالة الشعورية القلقة التي يعيشها الكاتب من خلال السرد الذي ينتاب الشخصية من تفاعلها الزمكاني (الشخصية والزمان – الشخصية والمكان) .

وفق هذا التحليل النفسي للحالة الشعورية المضطربة تبرز أهمية المكان في السرد النفسي إذ ان التحولات في المكان له الأثر الكبير على تبدل أفكار الشخصية الروائية ،إذ يتطلب الحال الجديد البحث عن مخرج نفسي آخر للاستقرار الواقعي بل يحدث في السرد الخيالي في غير رواية (حسن البحار) مدار بحثنا، إذ هي رواية واقعية يسير فيها السرد (أدب الرحلات) على وتيرة واحدة تستنزف قوة القص التتابعي والتراتبي الظاهر في الرواية .

يستطيع أسلوب السرد النفسي في روايتنا مدار البحث هذا أن يشكل ظاهرة في الرواية العراقية ، لما يفعله هذا الاسلوب من خلال اللغة ((الى شد بنية النصوص الى بعضها عند تفاعل العناصر السردية،(الشخصيات، الاحداث، وجهة النظر، الزمان، المكان)لإبراز الانبعاثات النفسية والهواجس والافكار المتصارعة في خفايا العوالم الداخلية للشخصية الروائية)) [٢].

---

(١) الهذيان والاحلام في الفن، فرويد، ترجمة : جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨: ٥٧ .

(٢) بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، د. سيزا قاسم، مكتبة الاسرة، ، القاهرة، ٢٠٠٤: ٢٧ .

وفي القرن العشرين وتحديداً مع ((الرواية النفسية أصبح البعد النفسي الثيمة الرئيسة التي ترتكز عليها معظم الكتابة الروائية)) [١]إذ تميزت بانعطافاتها الباطنية وركزت على المحتوى الداخلي للشخصية وما تشكله من حالات ذاتية نفسية غريبة .ويعد الحوار أحد أهم العناصر الروائية السردية وهو ايضاً أحد التقانات الجمالية في بلورة شعرية وأدبية النص السردي عامة والروائي خاصة .

وقد ركزت الدراسة على الحوار المنولوجي النفسي، وركزت على السارد البطل الذي هو الراوي ذاته. وتتحدد وظائف الحوار بعدة مسائل ((منها رسم الشخصية لكي تبدو أكثر حضوراً وتطويرًا وتعميقًا للحدث، والمساعدة في تصوير مواقف معينة من القصة، والتخفيف من رتابة السرد وكشف القصة والابانة عن غرضها واضفاء الواقعية على القصة)) [٢]ويمكن ان يفعل الحوار فعله التقاني عندما يعمل على تسخين الاحداث في ساحة القص وتقديمها، ومن ثم يدفعها الى الامام باتجاه العقدة او حلها)) [٣] .

(١) الانسان ورموزه، يونغ وآخرون، ترجمة : سمير علي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٤: ٧٩ .

(٢) فن كتابة القصة، د. حسين القباني، مكتبة المحتسب، عمان، ط٢، ١٩٧٤: ٩٥ .

(٣) عالم القصة، برناردي فوتو د. محمد مصطفى هدارة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٩: ١٨٦ .

المحور الاول

البناء النفسي للشخصية

في القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت الشخصية في الرواية الانجليزية تمثل ((صورة خاطفة او تحليلاً وصفياً لفصيلة معينة أو رذيلة معينة ،كما تتمثل في الشخصية وهو ما يسمى اليوم على الأغلب صورة لطباع الشخصية)) (١) .

إذن هي أفعال الشخصية بذاتها في تلك القرون، بوصفها عاملاً أو وظيفة من خلال تقديم الاحداث وكان ذلك اعتماداً على نظريات المنطق الارسطي في الفعل والحدث ((إذ ومن خلال المنطق هذا تكون طبيعة الاحداث هي المتحكمة في رسم الشخصية وإعطائها ابعادها))(٢)حتى ربط البنيويون الشخصية بالوظيفة النحوية التي تؤدي دورها من خلال لغة النص وهذه حتماً رؤى مغلقة ((ترفض الشخصية على أساس انها قطب في العمل الروائي ، إنما ينظر اليها وكأنها شبح وهمي وكائن ورقي يقال له الشخصية داخل العمل السردي))(٣).

أما في القرن التاسع عشر فقد تطور مفهوم الشخصية في حيز الفن الروائي واكتسبت وجودها المستقل عن الاحداث، بل هي من بينت أحداث الرواية، وتمكنت من ان تفرض وجودها ف ((لا توجد اي قوة تستطيع اسقاطها من على المنصة التي وضعها عليها القرن التاسع عشر ولم تزل تمثل الصدارة بذات العظمة والوهمية)) (٤) . بمعنى انها احتفظت ببعدها التخيلي وتركزت على انها شخصية تخيلية وليست حقيقية كما يراها البعض .

أما مدارس التحليل النفسي الجديدة (مدرسة فرويد) والمدرسة الالمانية فقد شجعت ومهدت لظهور أساليب السرد النفسي في الرواية العالمية ومن ضمنها الرواية العراقية التي تأثرت بالنتاج الثقافي وتيارات الوعي التي ظهرت في القرن العشرين فانعكس ذلك على التركيز على الشخصيات ذوات الكثافة النفسية (السايكولوجية)، لما لديها من معطيات معقدة ومن أفكار وصراعات نفسية تعكس الأزمات والرغبات وحالات شعورية ولا شعورية داخل عالم مضطرب

---

(١) معجم المصطلحات الادبية، ابراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، القاهرة، ط١، ١٩٨٦: ٢١١ .

(٢) بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، د. حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٣: ٢٠ .

(٣) في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، د. عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، الكويت، ١٩٩٨: ٤٠ .

(٤) ينظر : القصة السايكولوجية (دراسة في علاقة علم النفس بفن القصة)، ليون ايدل، ترجمة : د. محمود السمرة، منشورات المكتبة الاهلية، بيروت، لبنان، ١٩٥٩: ٣٦ .

في حيز المحيط العربي والعراقي بالذات .

ولهذا كان البحث يتتبع البواعث النفسية وخفايا العالم الداخلي للشخصية الروائية (حسن البحار) داخل نصوص روائية سواء كان ذلك من خلال تحليلنا لسرود نفسية متعددة نستبطن من خلالها مقاصد هذه الشخصية والشخصيات التي تعاملت معها داخل المتن السردي ،إذ ان الاساليب اللفظية نابعة حتماً من لغة الشخصية ،واسلوبها المباشر الذي يرصد حالات ذهنية مضطربة بأساليب أخرى غير لفظية (الزمان والمكان) تؤثر في حركتها وفق رؤى نفسية تعود الى الشخصية ذاتها أو رؤى الشخصيات الاخرى المصاحبة للعمل الروائي، لذا فقد أخذت الرواية الحديثة في القرنين الاخيرين تستثمر ((ما أعطاه رواد التحليل النفسي من تصورات عن الشخصية الكشف عن المخفي وما يظهر بوضوح)) [١] .

وكثيراً ما تمثل رواية (بحر أزرق .. قمر أبيض) أبعاداً نفسية للروائي اولاً من ثم شخصياته الواردة في خضمها، وتوصف هذه الرواية بأنها حديثة ((كونها تعكس لنا النزعة الباطنية البعيدة الغور للشخصية الروائية وانعطافها الذاتي وما تتضمنه من حالات ذاتية)) [٢] .

ففي بداية الرواية يستهل البحار روايته بقصة (ريتا) التي من خلالها استطاع ان يعطينا نمط الشخصية التي تتعامل مع القارئ بل ابعادها النفسية ووجهة نظرها بذاتها ليؤسس الى متن كبير يتعامل مع الحس العاطفي للشخصية والقلق بين جوانح قلب يطير في فضاء بحر كبير يرى من خلاله الكون والوجود انهما وحدة متكاملة .. يقول السارد على لسان (ريتا) ((**في تلك الحقبة من حياتي وقبل أن يحدث أي شيء ما كنت لأعرف معنى الاحساس بالوقت ولا التوحّد في البعد.**

بالكاد أغفو مع وسادة أيّامي أستيقظ كسولاً ناعس العينين على شبّاكي تتزاحم الوان الصباح. يسرقني الوقت وأسرقه لا تسكنني الرهبة عن الرغبة الجامحة في الحاجة الى القفز راكبًا عقلي. أتابط خطواتي أمشي وسط الامنيات أتخيّل العالم معبداً تتسامى فيه الارواح الى ملكوت السماء على مضمار محفوف بالماطر البقاء فيه للأقوى، لا أستوعب اهمية من حولي.

تلاعبني أنامل القدر كما تلاعب الريح العاصفة أوراق الشجر قلبي المضطرب في خفقاته يخلو الى نفسه منزوياً عند الجهة اليسرى بينه وبين العزلة ألفة غايته العيش بسلام لا

---

(١) عالم الرواية، رولان بورنوف، وريال اوئيليه : ت : نهاد التكرلي، مراجعة : نهاد التكرلي د. محسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة المائة كتاب الثانية، ط١، بغداد، ١٩٩١: ١٥٣ .

(٢) ينظر : القصة السايكولوجية : ٥٧ .

أكثر)) [١] .

ان هذه المقدمة تؤسس لشخصية روائية قلقة ومضطربة ،إضطراب العالم حولها، اضطراب الوطن ومكان العيش شخصية باحثة عن ذاتها الضائعة تبتغي فقط العيش بسلام في عالم تراه حسب معطياتها، وباطنها أسود كلون الليل الحالك .

فلو تابعنا مرجعيات عباراته (لأعرف معنى الاحساس بالوقت) دلالة العبثية والتشيؤ، بل استسلام مبرر بعدم التوازن والاغتراب (وبالكاد أغفو على وسادة أيامي)،ابعاد دالة على الاضطراب الحياتي والشخصي المعلن، وعبارة (سيسرقني الوقت وأسرقه) لا أهمية للوقت فكل ما لدي هو ضائع بلا معنى .

((قلبي المضطرب في خفقاته يخلو الى نفسه منزوياً عند الجهة اليسرى)) هذه العبارات برمتها تسهم في تكوين محاكاة للباطن الانساني وارهاصته الفكرية من خلال مصطلحاته السردية النفسية التي تحيط بهذه الذات المستقلة شعورياً المنزوية نفسياً واجتماعياً الى اي مكان آمن يسهم في إعادة تكوينها ووجودها فهي ليست (شخصية ورقية) كما قال البنيويون، وها هي شخصية (البحار) تفصح عن وجودها في الرواية بوصفه مكونًا سرديًا شخصيًا اساسًا تواكب وظيفياً الفعل والحدث على حد سواء .

وهذه الشخصية المتحكمة في أحداث الرواية بمشاهدها تحاول معالجة اقدارها في العالم الواقعي مع انها لا تستطيع ان تقضي على الأزمة الوجودية القلقة المستمرة ولهذا لو تتبعنا أحداث الرواية وراقبنا حركة الراوي وحركة الشخصيات الثانوية الاخرى لوجدنا شخصيات قلقة مضطربة أيضاً تحمل كثيراً من الاسئلة الوجودية فينطبق على هذه الشخصيات ما انطبق على الشخصيات العالمية التي يقال عنها ((اعظم شخصيات هذا القرن تظل اشكالية)) [٢] .

فهي رواية نفسية بامتياز وهي مسرح كبير يلقي بأضوائه على الجوانب النفسية لشخصيات تكشف عن بواطنها الشعورية وعوالمها السايكولوجية وتدفقاتها وقناعاتها الفكرية المضطربة .

---

(١) بحر ازرق .. قمر أبيض، حسن البحار، اصدارات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، دار الوثائق والكتب، بغداد، ط٢، ٢٠٢٠: ٥ .

(٢) الاسطورة والرواية، ميشيل زيرافا، ت : صبحي حديدي، منشورات عيون المقالات، المغرب ،الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٦: ٢٢ .

المحور الثاني

البناء المونولوجي

كثيرة هي أحاديث النفس في الرواية العربية إذ الشخصية الروائية تعتمد اساساً في نصوصها على محاكاة الباطن بكل ما يحتويه من خزين وصور للخارج المضطرب بمعنى انه ((تعبير يفترض فيه النقل الامين لنشاط واقع الوعي)) [١]اي انه حديث نفس للشخصيات الروائية الرئيسة والثانوية .

وهو بذلك يلتقي بمفهوم المناجاة في ذلك الحديث الداخل وهو كما يعرفه (علوش) ايضاً انه ((نشاط فردي يتكلم فيه الشخص وحده)) [٢]وكلاهما احاديث تأملية تتجاوب معها النفس الانسانية من خلال مشاعرها واحاسيسها وللمنولوج اهدافه في تصوير الحياة كما تراها الشخصية، وكذلك يكشف عما يدور في النفس الانسانية من تناقضات واسرار دفينة، ينكشف من خلال ذلك طريقة تفكيرها بل ((مدى فهمها للحياة وكيف تعالج قضاياها الشائكة فهي بذلك تصور حياة الانسان اللاشعورية بصدق وواقعية فيلمس القارئ صوراً متعددة من خلال ما تمنحه من مشاق)) [٣]كذلك فإن المونولوج بوصفه رؤيا غير مرئية، يقدم لنا ايضاً ضروباً كثيرة من التحليل النفسي، ويسهم في قبول المتلقي واستيعابه بطريقة طرح الروائي لشخصياته في مسرح السرد وكذلك قدرة المنولوج من خلال المناجاة على ملء الفراغات الزمكانية داخل الرواية وساحة السرد .

إذن فالمونولوج يتأسس داخل المتن الروائي على مسار درامي يبين من خلاله اجزاء النص ومن خلال استراتيجية البوح بآلام الذات والأصوات التي تعطي الحركية للحدث وتديم ديناميته .

وهو بذلك يشكل آلية سردية تتبنى بناء الحدث لتكشف الشخصية رؤيتها للعالم والخريطة النفسية للباطن تلتقط كل تلك الذبذبات والأنين في سرد داخلي لذات متشظية ملسوعة بفوضى الوجود يؤدي ذلك اخيراً الى كشف مكبوتاتها وعذاباتها الأبدية .لأن المونولوج في الحقيقة يستنطق أعماق الذات ويعرض صوتها المدوي بمأساوية الحاضر والماضي .

وينقسم المونولوج الى قسمين (داخلي وخارجي) ولقد لفت نظري حوار مباشر يجمع بين

---

(١) معجم المصطلحات الادبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥: ٢٠٦ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٩ .

(٣) فن القصة، محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٥٥: ٨٠ .

الداخل والخارج في لحظة ضعف عاشها الكاتب أمام مكبوتاته القديمة وهو يستشعر القارئ عمق حالة الانتظار التي يعيشها مع ذاته والأماكن التي زارها إذ يقول :

((طال انتظاري بمرور الدقائق البطيئة، ماذا أفعل ؟ لا طاقة لي على الانتظار ؟ الانتظار والانتظار صعب، لم أعد مهتماً بما كان يهتم به الآخرون أمامي السائحون يضحكون وهم يدخلون غيرهم يخرجون! استسلمتُ لرغبة الجلوس والحيرة. كان يبدو غريبًا ان تتمكن مني فتاة بهذا الشكل ان تستحوذ على مشاعري الى هذا الحد، لم أُخيّر. أفكر فيها كثيرًا وسأبتهج برؤيتها ؟)) (١)

ان هذا المدى المتشظي في عمق الراوي قد أحدث خلخلة في استشعار معنى الحب والعشق لشخصية مرتبطة بالماضي، انه لا خيار له الا الحيرة في مجتمع يختلف عن منظومة مجتمعه الأول بل ببيئته التي ترعرع فيها .فها هي قلة الصبر تعزو جوانحه الحائرة .. حيرة خارجية في طول الانتظار وحيرة داخلية ان تستحوذ على مشاعره فتاة غريبة (ريتا) التي يشير اليها في كثيرٍ من أحداث الحب والشبق الذي أفرط عليه في غربة استنفذت داخلهُ النقي وموروثهُ الثقيل من القيم .

ولهذا كان المونولوج غير المباشر أو السرد النفسي الداخلي (المناجاة) وسيلة مهمة للدخول الى العوالم الداخلية للشخصية (بطل الرواية) وهذا ما لجأ اليه (حسن البحار) إذ ينبثق هذا المونولوج داخلياً انبثاقاً من دون سابق اعلام من الروائي وهو لا ينتظر إجابة أو فعلًا أو رد فعل بياني من احد فهو مونولوج مستقل يكشف عن أحاسيس الشخصية ومشاعرها .. يقول البحار في قصة (رغبات مكبوتة) **((اغلقت نافذة الشمس وفتحتُ اخرى بلا عنوان ضممتُ خافقي قلت ان الحبَّ ينهار في زمن حلّت فيه خطوة ورحلت اخرى، على خارطة جسدي الذي لم تزهر فيه بعد الا قُبلة واحدة رأيت العجب))** (٢) .

ان هذا التقابل النفسي ناتج عن تحليل النفس لنفسها، فالروائي هنا كان بحاجة الى ضخ المزيد من المعلومات والمعطيات لإقناع الذات (المغتربة) فلجأ الى حوار النفس وأفصح انه يعاني عدم تمكنه من إرادته وهو لا يعرف سبب هذا الشعور، فهو يستمر في ضخ المزيد من المشاعر والاحاسيس المحملة بالفراغ واللامبالاة فكان التقابل النصي بين :

الارادة ⟷ وعدم الارادة

غلق النافذة ⟷ فتح النافذة

حلول خطوة ⟷ رحيل خطوة

---

(١) الرواية: ٤٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٦٧ .

ليطلعنا اخيراً على البعد الهائل بين القيم والواقع وهذا السلوك المنلوجي، يتساوق مع الاحساس بالاغتراب ، ويتفاقم مونولوجه الداخلي الى ان يصرح برغبته الجامحة الجنسية بآلية تكاد تتوقف وسط الرواية تقريباً .. يقول :

((العجب من قبلة واحدة رَسمت في ساحاته الكبيرة المهجورة نافورة جراح لم تلقِ الشفاه فيها بلسمًا بعد))[١] ويقصد ساحات جسده .. ولهذا كان في نظره تغيير العالم الذي يشكل مصدر الفراغ والاغتراب واللا جدوى ... ويستمر الراوي العليم بالتساؤلات الذهنية والنفسية بكل ما تحتويه الذات من عوالم داخلية عميقة للراوي بكل ما فيها من صراع وازمة نفسية نستدل على ذلك من خلال الملفوظ السردي واسلوبه المباشر المشحون بالانفعال ((الكشف عن عمق غامض للشخصية وحالة من امتزاج الآم والتأزم في دواخلها)) [٢] .

إذن هذا الاسلوب غير الواضح أو الغائب عن ساحة السرد هو خطاب غير مسموع وغير منطوق تعبر به شخصية ما عن أفكارها الحميمية القريبة من اللاوعي، انه خطاب لم يخضع لعمل المنطق [٣] .بمعنى ان البحار مارس الحكي الباطني داخل منظومة روايته بكل فنية .

---

(١) الرواية : ٦٧ .

(٢) فكر اللغة الروائي، فيليب دوفور، ت : هدى مقنعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١١: ٥٦ .

(٣) ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، دار النهار للنشر والتوزيع، لبنان، د. ط، ٢٠٠٢: ٦٦-٦٧ .

المحور الثالث

الحوار الداخلي وتقانة الارتجاع.

هو قطع عرضي يرد أثناء التسلسل الزمني للعمل الروائي ((وهو نوع من الاستطراد في الحكي عن الاحداث الماضية بنيّة توضيح ملابسات موقف ما)) [١] .فالذكريات تعد ((بحساب الزمن في الماضي البعيد ولكن في اللحظة التي تستعاد فيها تستحيل الذاكرة– حالاً –شيئاً واضحاً حسياً قد بعث من جديد)) [٢] .

تعد رواية (بحر أزرق .. قمر أبيض) من الروايات التي تندرج في إطار مصطلح الرواية الجديدة، وهي من الروايات التي تحمل الطابع الخاص للشخصيات الموظفة والواردة في متن الرواية إذ ليس لها من مفهوم الشخصية الاّ الاسم الذي تحمله إذ غدت الشخصية في الرواية الجديدة مجرد رمز أو هم من هموم الكاتب ذاته فهي تعتمد على احاسيس الكاتب وتحمل صوته وهموماً متصلة به وحده، وكان (البحار) أحد شخصيات الرواية التي تعبر عن موقفها ووجهة نظرها من العالم، ينتقل هذا الهم من خلال المساحة السردية المتوهجة بالأحاسيس التي تُخيل الهم الجماعي لشعب معين او ربما يكون رامزاً الى حال مجتمعه الذي نشأ فيه يقول: ((**كنت صبياً في الحادية عشرة منظرهُ متكسّر الملامح خائفًا يلتصق الحائط يجاهد كي يحافظ على الثبات وسحب النّفس**)) [٣] .

ويقول ايضاً في قصة (ريتا) :

((**أريد الدفء مستمتعًا بحكايات أمي وهي توزع الكيك مع الشاي ،لا يشغلني إلّا الاستماع**))[٤].

ان هذا الخطاب المنطلق من شخصية الراوي (الكاتب) عند ((استرجاع الذكريات هذه تتمثل مظاهر إدراك الواقع لأن الاحداث تستجلب لتنشط في احداث الحاضر، إذ ان الارتجاع ما هو الا تذكر للماضي بردّه نفسية الى الوراء)) [٥] .

---

(١) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥: ٩٧ .

(٢) القصة السايكولوجية، ت : د. محمود السمرة، المكتبة الاهلية، بيروت، ١٩٥٥: ٥٨ .

(٣) الرواية: ١٥ .

(٤) المصدر نفسه: ١٧ .

(٥) شخصيات قصة يوسف(دراسة تحليلية)، نبهان حسون السعدون، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٣: ١٣٠ .

ان تأثره بريتا الحبيبة الاولى التي رآها كما يصرح في القصة الاولى المعنونة (ريتا) هذه الانثى التي يصفها دائماً بالجمال والوقار والكمال عن غيرها من النساء كانت في نظره **((اجمل نساء العالم))**[١]هذه المرأة التي تظهر من خلال استرجاع الذكريات معها في معظم مقاطع الرواية فهو يرتجعها في مقطوعة (قرية ساترن) إذ يقول :

((رف الشيء نفسه في صدري عندما اختفت الوجوه الضاحكة التي كانت على الاجساد الملونة، رأيت آخرها يبتعد ودهشتي خلفه من حركة هبوطه السريع عند السفح، كانوا ينحدرون من الاعلى الى الاسفل كأنحدار المتزحلق على سفح جبل من بعيد فرحين، تلفتُ الى من حولي، لم أجد إلا أنا و (ريتا) نجلس حول النار التي بدأت تخبو)) [٢] .

ان البحار (سي) هو الراوي ذاته والكاتب في الآن نفسه ، فقد كان مسار الخط النفسي للبحار (سي) مساراً قلقاً مليئاً بالحسرات، يستثمر المونولوج الداخلي لحديث باطن غير مرئي أقرب ما يكون الى اللاوعي في أفكار لم تخضع لتنظيم معين أو منطقي، لأن الافكار سابقة لهذه المرحلة ((فيتم التعبير عن هذه الافكار بعبارات تخضع لأقل قواعد ممكنة للغة، والغرض من هذا الايحاء للقارئ، بأن هذه الافكار هي الافكار عند ورودها الى الذهن)) [٣] .

إذن هناك جملة من الارتجاعات تعد ذاكرة للصوت الواحد الذي يتذكر ويتذكر، بوصفه معيارًا لتقدم هذه الأحداث الى الامام حتى نهاية الرواية التي تحتوي مختصرات لأحداث كانت الارتجاعات منطلقاً لها هذه الارتجاعات المنولوجية ذات الدائرة المغلقة من النهاية الى البداية والعكس صحيح يُفصّل في آخر صفحة من الرواية في مقطوعة (قادم الأيام) بحديث وتساؤلات حول كيف ستكون نهاية هذه الرحلة كيف سيكون شكل ريتا بعد سفره الأخير كيف سيكتب ما شاهده وأين سيكون قلبه بعد الآن ؟؟ لريتا التي سيفقدها أم لأهله الذين سيستقبلونه بشوق عارم.. وهو ايضاً محمل بأشواقه التقليدية بوصفه فردًا عربيًا .. يقول:

((لا أعرف بالضبط لمن في قادم الايام سأشير ؟

ألعينيَّ اللتين ستحومان حول بطن ريتا في حملها ؟

أم لقلبي الذي سيمدّ يديه شوقاً الى أهلي ؟

لايهّم لايهّم سأترك هذا الى قادم الأيّام، فالطائرة هبطت وخطّت عجلاتها أرض (دوماي)).[٤]

---

(١) الرواية: ١١ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٢ .

(٣) شخصيات قصة يوسف: ١٢٢ .

(٤) الرواية: ١٥١ .

إذن علاقة البداية بالنهاية تحتاج الى الذاكرة الخارجية إذ ((يحتاج الكاتب الى العودة الى الماضي الخارجي في بعض الوقت في بعض المواقف في الافتتاحية ، وكذلك في إعادة بعض الاحداث السابقة لتفسيرها تفسيراً جديداً في ضوء المواقف المتغيرة أو لإضفاء معنى جديد عليها مثل الذكريات كلما تقادمت تغيرت نظرتنا اليها او تفسيرها تفسيراً في ضوء ما يستجد من أحداث)) (١) .

- **تيار الوعي**

المونولوج ثيمة تيار الوعي بل أحد أعمدة حواراتها في اللغة الحداثية للروايات الحديثة ((وبالذات الروايات النفسية التي اتخذت من عالمي المسرح والدراما للكشف عن العالم الداخلي للشخصيات وصياغة خلجات سرودها النفسية التي لم تصرح ولم تنطق بها)) (٢) . وتيار الوعي هذا المصطلح الحديث ظهر للمرة الأولى على لسان الفيلسوف وعالم النفس الامريكي (وليام جيمس) معبراً من خلاله عن الانسيابية المتواجهة للأفكار المنهمرة والمشاعر والذكريات داخل الذهن وقد شبه ذلك بمسار النهر ومياهه المتدفقة بقوة جريان لانهائي مع التغيير المستمر (٣).

إذن رواية تيار الوعي نتعرف عليها ببساطة من خلال مضمونها وذلك ما يميزها ويميز تيار الوعي ((وبدرجة كبيرة هي الروايات التي يحتوي مضمونها الجوهري وعي الشخصية أي ان الوعي يخدمنا بوصفه شاشة تعرض عليها في هذه الرواية)) (٤)، كل الحروب والأزمات والانتكاسات مازالت فاعلة في مجتمعاتنا وبلادنا العربية، تلك التي أثرت في نفسية الانسان العربي المثقف خاصةً في ظل هذه المناخات المتأزمة والموشحة بروح الهزيمة والانكسار .

لم يبق الكاتب بعيداً عن محيطه لأنه حسب قول الناقد حليم بركات ((لا يمكنه ان يكون جزءاً من المجتمع من دون ان يكون مهتماً بالتغيير)) (٥) ، وأراد من خلال ذلك الافصاح عن ان الواقع الذي يعيشه الآن واقع صادم لا يتلاءم مع عالمه القديم، ولهذا كان الحوار قائماً على

---

(١) بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، سيزا قاسم، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥: ٥٩ .

(٢) الشعرية، تودروف، ت : شكري المبخوت ورجاء سلامة، دار توبقاني، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٠: ٤٦-٤٧ .

(٣) ينظر : تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ت : محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠: ٢١ .

(٤) المصدر نفسه: ٢٢ .

(٥) الاتجاه الانساني في الشعر العربي المعاصر، مفيد محمد قحيمه، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د. ط: ٢٦٧.

كسر التسلسل السببي لأحداث الرواية وبروز صور متداعية تنهمر من ذهن الشخصية بقوة كبيرة وبتدفق عالٍ أي هو في الحقيقة اختلاط اللفظ المنطقي الذي ليس له بداية ولا نهاية وهذا ما أرساهُ تيار الوعي السابق الذكر الذي يعتمد في السرد على كسر التتابع المنطقي وإعطاء أفكار تلقائية بطريقة ليس لها حدود وكأنها لا تتوقف على الإطلاق [١].

كما سنلاحظ في هذه المقطوعة من قصة (مسافات صمت) التي تتدفق فيها الكلمات والعبارات المقطعة الأوصال فيها تقطع مسافات نفسية وذهنية كبيرة .

((الحياة يخطر ببالي ومضة ،أعزف الدمع مثل رجل متعب نام في حضن أرنب، عابر الزقاق أرتجل الايّام أتأبط الاحلام سحابة نعاس أعزف كمنجات دمي، احمل خطواتي فوق كيس حجر على كتف حمّال أرحل رمتني الساعات حتى صارت الأيّام في وحدتي كفوفًا تدفعني للهذيان والهذر : ((أحبها ؟ ما فعلت بنفسي ؟)) [٢] .

فلو أننا تابعنا هذه الملفوظات نرى أن كلها مجازات سردية ترميزية غامضة لا تنطلق إلا من أماكن اللاوعي هذه الأماكن التي يستوعبها الحوار الباطن النفسي الوصفي فقط، وهو من حيث مادته يعبر عن أعمق وأشد الأفكار خفاءً ، وبهذا التدفق المتواصل ومن خلال مجموعة جمل ربما لا تتصل معانيها مع بعضها بسبب سرعة تدفقها بمجازات ذات ايقاعات نفسية عميقة .

(١) ينظر: شخصيات قصة يوسف: ١٢٩ .

(٢) الرواية: ٨٣ .

- **الوصف النفسي**

تمنح الرواية النفسية كاتبها المجال الواسع للإبداع ليطلق المكبوتات الدفينة والرغبات في نفوس شخوصها، فهي الفضاء الشاسع للتحرر من قيود الواقع والرواية النفسية تسلك في بنائها منهجاً خاصاً يبتعد بخصائصه عن الرواية التقليدية .

وصف الشخصية :

البحار في روايته بوصفها شخصية رئيسة حاول إبراز كل مشاعره وأفكاره إذ بيّن التأثيرات الاجتماعية والنفسية التي تركت فيه الكثير من المكبوتات التي أوصلته الى حالة الانبهار والتشتت عندما انتقل بذاته الى أماكن أخرى فرضتها وظيفته في التنقل ،إن اللذة التي شعر بها في العالم الآخر الذي لا مقارنة بينه واقعياً وبين ما يعيشه الانسان العراقي من اضطرابات وتعاسة لا نظير لها، فذاب(البحار) في لذة جسدية تشبع غرائز مريرة يعيشها الجسد في عالم مقهور دائم الألم والضياع وهو بالتأكيد واقعنا العربي والعراقي .. يقول :

((قبل كل شيء كنت أحمق في نظر بعضهم، منشغلاً في عبثي عن الهدوء (...) أتجنب الوقوع في المهالك ،أغوص في عالمي الخاص متسائلاً عن معنى الحواس وما تبعثه للروح من ملذات كانت بعيدة عن واقعي حتى في احلامي القليلة ،ما كان بوسعي ان أدرك أنني قد أفسدت علاقاتي بمن حولي وانتهيت وحيداً؛ ذلك لأن عفويتي كانت تفسر تصرفًا ساخرًا، حتى جاء اليوم الذي اشتعل في نفسي شرارة التمّيز عن غيري عندما جمعتني الصدفة و (ريتا) الراكضة قرب حدائق الخرافة مثل مصباح منير لمحتها هناك)) [١] .

انه يبدأ الرواية بعالم المكبوتات التي قال عنها فرويد: ((إن مبدأ اللذة دون غيره هو الذي يحدد هذه الحياة ، ويتحكم من البدء بعمليات الجهاز النفسي)) [٢] .

فالراوي (البحار) قد وصف حياته كلها بحدائق الخرافة ولا أدري ربما في لحظات الضعف أمام المجال والحرية يفقد الانسان توازنه النفسي والقيمي أمام مغريات متاحة في بلدان تحللت فيهم القيم الاخلاقية حد الإباحة لكل شيء وكل شيء عندهم مباح ومتاح .

وكلام فرويد السابق وصف منهجه بأن المشاعر الانسانية من حب وكره وقلق وأحزان مردها الى الطبيعة الفطرية للإنسان وهذه الطبيعة لها طاقة تحرك النشاط النفسي نحو الاشباع ولكنها تصطدم بعوائق من الخارج مصدها المجتمع .

---

(١) الرواية: ٧ .

(٢) قلق في الحضارة، سيجموند فرويد، ت : جورج طرابيش، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٤، ١٩٩٦: ٢٣ .

في قصة (نعاس الليل المعتق) تبرز ظاهرة الحكي النفسي ،إذ ان الشخصية الروائية (حسن البحار) يستمر في البحث عن (ريتا) ، وما زال تيار الوعي يعمل لدية بأقصى طاقاته ، لتنساب العبارات وتكشف عن المحتوى النفسي للشخصية ويتعامل مع الحلم والتساؤلات ، إذ يمتلك الفرد العربي مشاعر نقية فطرية تجعله يحب ويعشق بإخلاص ويشتاق الى من يحب بكل قوة . يقول : ((**أبحث عني في مرآتي تردد لصورة فيها عكس امتدادات وجهي وجدتُ في أكثر الخطوط شبابًا أستدير الى هناك ولا أستطيع انتزاع (ريتا) من زحمة أفكاري**)) [١] .

فتبقى الشخصيات التي تظهر في الرواية ((تمثل مدن وشعوب وديانات وطبيعة انسانية، شخصية محورية (ريتا) بوذية الارملة معشوقة البحارة وملهمة الحب للبطل)) [٢]وشخصيات ثانوية أخرى لها تأثيرات خارجية مثل (انطوان) و (سوفيا) و (هيلين) كل هذه الشخصيات كان لها تأثيرات خارجية مساعدة في تطوير السرد، أما (ريتا) فكانت شخصية أثرت كما رأينا في نفسية البحار .

- **الوصف الزمكاني في السرد النفسي**

في أدب الرحلات لا يمكن للقارئ أن يفصل بين الخيال والواقع .. فهذان الأمران واقعان تحت طائلة السرد الحكائي الممكن ان يكون واقعياً او خيالياً على حد سواء ..

فالرحلة تقتضي التنقل من مكان الى آخر، والرحلة في البحر لها شكلها الخاص من حيث تقانات السرد الممزوجة بأدب الرحلات (السندبادية). والتي من خلالها يقدم الراوي تسجيلاً صورياً يفتح امام القارئ أطلس لخرائط العالم ومواقع البلدان ومدنها الساحلية فهو ينتقل في رحلته الى اندونسيا ومن ثم إلى سنغافورة وعبر المحيط الى سيرلانكا وايطاليا وبلجيكيا وسواحل انكلترا وجورجيا وغيرها من المدن .هنا يقدم لنا البحار وصفاً شفافاً عن هذه المدن وأحوالها بل يقارن بينها وبين ما يعيشه من تخلف في بلداننا العربية المضطربة اجتماعياً ونفسياً وثقافياً.

ففي البلدان التي زارها، عليه أن يكون أكثر حذراً في اي تصرف عادي، مع عدم الاسئلة عن الهويات وعن التنوع والتعايش، ليعطي بشكل شفاف معلومات تاريخية عن المدن والشعوب في نسيج روائي بسيط بعيداً عن الخيال والمتاهات بلغة تتيح الفهم لأي قارئ .

---

(١) الرواية: ١٠٣ .

(٢) الروائي حسن البحار يقدم شخصيات من آدب البحر، حمدي العطار موقع من الانترنت www.riaiyoum.com

لقد أصبح المكان عنصراً فاعلاً في تشكيل دلالات العمل الروائي بعدما كان سابقاً مجرد حيز جغرافي فحسب أو ((انه مجرد خلفية او ديكور او وعاء محايد تدور فيه أحداث الرواية))[١].

ولهذا كانت طبيعته ومكوناته كالمرآة العاكسة لجوانب وأحوال الشخصيات المختلفة ولهذا سمي بـ(المكان النفسي) الذي يوصف بأنه ((خزان حقيقي للأفكار والمشاعر إذ تنشأ بين الشخصية والمكان علاقة متبادلة يؤثر كل طرف على الآخر وبشكل يظهر فيه المكان معبراً عن نفسية الشخصية)) [٢] .فمثال ذلك ما يقول البحار في قصة (قرية ساترن) **((يا آلهي ،سيطرت على نفسي حالة من السكوت والمتعة، شعرت بهما أنني في مكان يشبه الخرافة حيث ظهرت أمامي فجأة صورة شارعنا الطيني المؤدي الى بيتنا هناك في مدينتي))** [٣] .

ان هذا الذهول الشبيه بالهذيان داخل اللحظة الزمكانية التي أثر فيها المكان حصراً ، ضمن المقارنة التي عقدها الراوي بين تلك البلدان وبين بلده ومدينته، ولهذا فللمكان فعله السردي بإندماجه مع الزمن عند متابعة سيرورة الاحداث من خلال الشخصية التي تخترق الزمن الروائي، إذ يتطلع التشكيل (الزمكاني) ويتبلور في التفاعل العلائقي بين (الزمن والمكان) وبين العناصر المشكلة للرواية من خلال اللغة إذ تبنى اللغة من حضور الزمن وحضور المكان ويكون دورهما هو ((تجسيد ذلك الحضور وربطهما بغيرهما من عناصر الخطاب الروائي ربطاً يجعل منهما نسيجاً متشابكاً ومتلاحماً وشديد الارتباط والاتساق مع تلك العناصر)) [٤] .

ان هذا المكان الذي يشبه الخرافة كما قدره الراوي له مكان خاص جديد يختلف عن الصور العميقة الباطنية للشخصية الروائية التي تعاني الازدواجية بين الماضي والحاضر، إذ ينتهي الماضي لحظة اللذة والمتعة .. لكنه يحضر من خلال اختلاف المكان وتأثيرات هذا الاختلاف عن ذاكرة الروائي. ليس هذا فحسب ولكن الواقع الاجتماعي الذي نشأت فيه الشخصية واقع مرير ومدينة مريضة مهملة ليس كما ترى عينه في لحظة الاسترجاع هذه .

---

(١) الرواية العربية، محمد صالح الشنطي، دار الاندلس، حايل، ط١، ٢٠٠٤: ١٢٣ .

(٢) بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠: ٢٠٨ .

(٣) الرواية: ٤٩ .

(٤) اشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦: ١ .

ومع هذا فأن تأثير المكان الاصل أشد وقعاً في نفس الكاتب بل هو أجمل وأكثر سعادة على الرغم مما فيه من ألم ونقص وهذا يدلنا على أن للهوية تأثيرها في (زمكانية) الرواية بل حركة الزمن داخل المكان إذ يقول وهو يستحضر المدينة :

((على الرغم من شحّ مظاهر الترف فيها إلا انها مازالت عزيزة في نفسي. ممسكاً بيدها عندما شعرت بألم في صدري عن مساحات الغرق التي بدت شاسعة طويلة، تنهدتُ نظرت إليّ شعرت فيها براحة الاطمئنان)) (١) .

إنّه حديث نفس واستنطاق للباطن من أجل الوصول الى قناعات ما داخل زمان ومكان جديد ومضطرب لا تحتمله الذات .ان ما يؤكد اساس تشكيل العلاقة بين (الزمان والمكان) هو الترابط الذي يحقق ابعاداً نفسية لها طبيعتها وتأثيرها في كيان الشخصية وعالمها الداخلي وأحاسيسها. لهذا كان المكان يمثل مجموعة من الاشياء المتجانسة أو الحالات أو الوظائف والاشكال تقوم بين هذه الاشياء علاقات منها علاقات مكانية مألوفة ومنها زمانية ((الاتصال والمسافة)) (٢)، لذلك وضمن السرد الذي مر آنفاً نؤكد على أن الاحساس النفسي بالمكان لا يختلف عن الاحساس ذاته بالزمان ((على ما يبدو ان هناك ترابطاً وظيفياً بين الفضائين معاً من جهة وبمقتضى وحدة الرواية المؤسسة لها من جهة ثانية وبمقتضى المضمون الروائي من جهة ثالثة))(٣) .

لقد جسد الكاتب (البحار) احساسه ب (مدينته) التي هي المكان النفسي العميق بل هي المدينة الحقيقية التي تعيش في الباطن بناءً على اسقاطات نفسية وحالات من ذات شعور مضطرب بلورها الكاتب وفق رؤاه النفسية وإدراكه ووعيه بوضع مدننا الراهن ولاسيما مدينتِه .انه يعمق اسلوب اللقطة الفوتوغرافية للمكان ولا يريد ان يترك أي مشهد دون توثيق محاولاً إضفاء تأثيرات المكان على زمنه المتسارع يقول في (الساعة الخامسة) واصفاً بلجيكيا :

((توجهت الى مركز المدينة، رأيت بلجيكيا كما قيل عنها جوهرة في وسط أوربا مررت

---

(١) الرواية: ٤٩ .

(٢) ينظر : الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، ابراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١: ١٧٠ .

(٣) مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية (من التأسيس الى التجنيس)، نجيب العوفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٧: ١٦٣ .

بشوارع تشهد فيها بيتا قريبة، رأيت وسط بناياتها المرتفعة المحصن آله الخصب والشباب كان تمثالاً مرصعاً بألماس تحيطه لوحات جدارية من العصر الروماني)) [1] .

كل هذه اللقطات والوقفات الوصفية تتعلق بدافع نفسي إذ إن هذا المكان ثابت، حَرّكته دينامية الشخصية بحركة أفكارها ومخاوفها وحالاتها الشعورية المضطربة .

(١) الرواية: ١٢٤ .

الخاتمة

١- عنيت الرواية العربية بشكل رئيس بالجانب النفسي وكانت شخصيات الرواية هي المستهدفة في الكشف عن محتواها النفسي والباطني من خلال السرد، واستفادت من تيار الوعي الذي أتاح للكاتب إدراج كم هائل من المشاعر الى الساحة السردية. فأبرزت وبشكل لافت مشاعر الحب والحرب والغربة والكراهية مع الاحتفاظ بجانب من الأمل الباطني الذي يتعامل مع الذات ويفرض فعله على تصرفاتها وكانت في رواية (بحر أزرق .. قمر أبيض)علاقة أحاطت بما يحمله العراقي من أحزان وآمال في ذاته المركبة المرتبكة ارتباك واقعه الاجتماعي .

٢- قدمت الرواية صورة مصغرة عن أدب الرحلات المتداخل مع اجناس سردية أخرى مثل السيرة والسيرة الذاتية والتي تشترك في عنصر الحكي. وصورت البحار كعامل على ظهر سفينة تنتقل بين البلدان والتقاه بأناس من مختلف الاجناس والالوان والثقافات التي يسردها بوعي المشاعر وبوعي الغرابة ، وترك خياله يسيح في هذا العالم النقي بين البحر والسماء وكانت للعلاقات الغرامية وقلق الاسئلة الفلسفية عندما يعمل لديه الذهن بأقصى طاقاته وكانت (ريتا) محور الفعل السردي النفسي التي جعلها البطل مرآة عاكسة لما في نفسه من كبت وأحساس بالقمع والاستلاب.

٣- يمتلك البحار الإرادة الفنية مع الخيال المناسب الذي حّول أدب الرحلات الواقعية الى وعاء سردي طعمه بنسبة مناسبة من الخيال الابداعي ،وهو ينقلنا بوصفه ساردًا بين البلدان والسواحل العالمية التي كانت تفتح في ذاته مزيداً من التأملات والمفارقات النفسية التي تجعل من السرد ولغته مادة خاضعة للتحليل النفسي .

٤- عكس اسلوب السرد النفسي حالات مهمة تمثل فكر الشخصية وما يعتلج في دواخلها فوظف واستثمر (البحار) اسلوب المونولوج لتقوية بناء الحبكة من خلال المونولوج المباشر وغير المباشر الذي يحمل صنيعة (الأنا) المتكلم، وكانت هذه الوسيلة قادرة على كشف دواخل الشخصيات ولاسيما شخصية الراوي الذي تنقل بنا من مرفأ الى مرفأ .. في فعل موازي مع التأسيس الاول للعتبة الاولى العنوان (بحر أزرق .. قمر أبيض) .

ثبت المصادر

- الابعاد الاساسية للشخصية، احمد محمد عبد الخالق، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٨٧.
- الاتجاه الانساني في الشعر العربي المعاصر، مفيد محمد قحيمه، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د. ط.
- الاسطورة والرواية، ميشيل زيرافا، ت : صبحي حديدي، منشورات عيون المقالات، المغرب، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٦.
- اشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.
- الانسان من هو ؟ قاسم حسين صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦ .
- الانسان ورموزه، يونغ وآخرون، ترجمة : سمير علي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٤.
- بحر ازرق .. قمر أبيض، حسن البحار، اصدارات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، دار الوثائق والكتب، بغداد، ط٢، ٢٠٢٠.
- بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، د. سيزا قاسم، مكتبة الاسرة، ، القاهرة، ٢٠٠٤.
- بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
- تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ت : محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠.
- الرواية العربية، محمد صالح الشنطي، دار الاندلس، حايل، ط١، ٢٠٠٤.
- روائي حاذق يقود القارئ الى نهاية الرواية، اسعد اللامي، موقع من الانترنت Kita bata.com .
- الروائي حسن البحار يقدم شخصيات من آدب البحر، حمدي العطار موقع من الانترنت www.riaiyoum.com
- شخصيات قصة يوسف(دراسة تحليلية)، نبهان حسون السعدون، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٣.
- الشخصية، س لازوري ريتشارد / ت : سيد محمد غنيم ومحمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط٤، ١٩٩٣.
- الشعرية، تودروف، ت : شكري المبخوت ورجاء سلامة، دار تويفاني، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٠: ٤٦-٤٧ .

- عالم الرواية، رولان بورنوف، وريال اوئيليه : ت : نهاد التكرلي، مراجعة : نهاد التكرلي د. محسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة المائة كتاب الثانية، ط١، بغداد، ١٩٩١.
- عالم القصة، برناردي فوتو د. محمد مصطفى هدارة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٩.
- الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، ابراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١.
- فكر اللغة الروائي، فيليب دوفور، ت : هدى مقنعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،٢٠١١.
- فن القصة، محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٥٥.
- فن كتابة القصة، د. حسين القباني، مكتبة المحتسب، عمان، ط٢، ١٩٧٤.
- في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، د. عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، الكويت، ١٩٩٨.
- القصة السايكولوجية (دراسة في علاقة علم النفس بفن القصة)، ليون ايدل، ترجمة : د. محمود السمرة، منشورات المكتبة الاهلية، بيروت، لبنان، ١٩٥٩.
- قلق في الحضارة، سيجموند فرويد، ت : جورج طرابيش، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٤، ١٩٩٦.
- المدخل الى نظرية النقد النفسي، زين الدين المختاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨.
- معجم المصطلحات الادبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥.
- معجم المصطلحات الادبية، ابراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، القاهرة، ط١، ١٩٨٦.
- معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، دار النهار للنشر والتوزيع، لبنان، د. ط، ٢٠٠٢.
- مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية (من التأسيس الى التجنيس)، نجيب العوفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٧.
- الهذيان والاحلام في الفن، فرويد، ترجمة : جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨.